أثر السياق في إنتاج المعنى في دعوة سيدنا إبراهيم لقومه
حسب اللسانيات التفسيرية

الباحثة/ منى عمر عسقلاني علام
إشراف
الأستاذ الدكتور/أشرف عبد البديع عبد الكريم

الملخص:

يلاحظ على كثير من التفاسير أنها تميل إلى الاهتمام والتركيز على المعاني السياقية، التي تركز على الأحداث الكلامية، من أسباب النزول وسياق الموقف وطبيعة المتحدث والمتلقي وظروف نزول الآيات وموضوع الحديث ... إلخ، وهذه كلها معانٍ تهتم بها نظرية أفعال الكلام.

وسيحاول البحث هنا التركيز على المعاني المتضمنة في القول، بناء على الأحداث والسياقات المذكورة أعلاه، خاصة في الآيات المتعلقة بدعوة سيدنا إبراهيم لقومه. وقد وردت في أربع سور متفرقة، هي الأنبياء (تسع عشرة آية) والشعراء ثلاث عشرة آية) والعنكبوت (ثلاث آيات) والصافات (أربع عشرة آية)، وبناء على هذا فجموع الآيات، تسعة وأربعون آية.

Summary.

It is observed in many interpretations that they tend to focus on and emphasize contextual meanings، which concentrate on speech events such as the reasons for revelation، the context of the situation،the nature of the speaker and the listener، the circumstances surrounding the revelation of the verses، and the subject of the discourse، etc. All of these are meanings that are of interest to speech act theory.

This research will attempt to focus on the implied meanings in the speech based on the aforementioned events and contexts، particularly in the verses related to Prophet Ibrahim's (Abraham's) call to his people. These verses appear in four separate chapters (Surahs): Al-Anbiya (nineteen verses)، Ash-Shu'ara (thirteen verses)، Al-'Ankabut (three verses)، and As-Saffat (fourteen verses). Based on this، the total number of verses is forty-nine.

حين تابعت البحث عن الآيات التي تختص بدعوة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لقومه في القرآن الكريم، وجدتها في سور وآيات متفرقة وتحديدًا في سورة الآنبياء من (٥٢:٧٠)، وقد بلغ إجمالي الآيات تسع عشرة آية، في سورة الشعراء من (٧٠ : ٨٢)، وقد بلغ إجمالي للآيات ثلاث عشرة آية، في سورة الصافات من (٨٥:٩٨)، وقد بلغ إجمالى الآيات أربع عشرة آية، في سورة العنكبوت من (١٦:١٨)، وقد بلغ إجمالي الآيات ثلاث آيات، وقد اتخذت سياقات الأحداث في الآيات طرقًا شتى ليبعدهم عما هم عليه .

أولًا أثر السياق في إنتاج الأفعال الكلامية في سورة الأنبياء من (٥٢:٧٠)

ــ قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ الأنبياء / ٥٢.

بدأ بذكرأبيه لأنه كان الأهم عنده في النصيحة وإنقاذه من الضلال[١]. فسيدنا إبراهيم (عليه السلام) يقول مستنكرًا لأبيه وقومه (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ).

فالاستفهام هنا على غير حقيقته، بل هو استفهام إنكاري يحمل لهجة الاستهزاء والسخرية والتقريع، ولابد أنه ألقى عليهم هذا السؤال بشكل أدائي يوحي بالتقريع[٢]. وقد أراد عليه السلام بهذا السؤال تنبيه أذهانهم إلى التأمل في شأنها وتحقير أمرها، متجاهلًا حقيقتها مع علمه بها، وتعظيمهم لها[٣]. وفي خطابه بقوله (أنتم) استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم[٤].

وبناء عليه فإن النظر إلى الآية الكريمة يأخذ منحيين، الأول : يتعلق بالفعل الطلبي الاستفهامي، غرضه الإنجازي (الإنكار والتقريع والسخرية والاستهزاء.

أما إذا نظرنا إلى الآية من جهة أخرى يمكن أن تقسم تقسيمًا ثلاثيًا، كما يلي .. الأولى: التمهيدية، هي (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ)، غرضها النصيحة، الثانية: الاستفهامية، هي (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ) غرض الإنجازي الإنكار والسخرية والتقريع والاستهزاء، والثالثة: استفسار عن سبب العبادة، هي (أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ).

واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكننا استنتاج أن الأعمال المتضمنة فى القول في هذه الآية منها (التحقير، الاستهزاء، التقريع، السخرية، الإنكار، الاستهانة، التنبيه).

وترجح الباحثة إلى أن تكون الجملة (توجيهية) غرضها الإنجازي الإنكار، والتقريع والسخرية والاستهزاء.

---

١ أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ٦/ ٢٩٩، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م، ينظر الألوسي : روح المعاني ٩/ ٥٦، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.

٢ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

٣ أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي ١ /٤٣، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م، ينظر أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ٢٩٩/٦.

٤ ينظر السابق.

ـ قال تعالى﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء / ٥٣.

جاءت هذه الجملة عندما كانوا لا يجيدون الرد التجؤوا إلى التشبث بحشيش التقليد المحض[١].

ولذلك ينبغي أن نقول إن هذه الآية جاءت من قوم سيدنا لكي يخبروه أن آباءهم كانوا يعبدونها، وهذا الرد دليل على عجزهم أمام سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

واستنادًا فالفعل الإنجازي المتضمن في القول (الإخبار)، جاء هذا الإخبار من قوم سيدنا إبراهيم لكي يخبروه أن آباءهم كانوا عابدين لها، ودليل الإخبار هنا عندما كانوا لا يجيدون الحجة.

ـ قال تعالى﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الأنبياء / ٥٤.

في هذه الآية أجابهم سيدنا إبراهيم ببيان قبح ما يصنعون، وبكتهم على سوء ما يفعلون[٢]. جملة (لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ) توكيد قسمي[٣] .

ومن هنا يمكن استنتاج المعاني المتضمنة فى القول، بناء على ما ورد في التفاسير (التبكيت، البيان، التوكيد)، وتستنتج الباحثة بناءً على الأفعال المتضمنة في القول إن تكون الجملة (توجيهية) طلبية غرضها التوكيد؛ أي توكيد من الحق على لسان سيدنا إبراهيم أنهم في ضلال مبين.

ـ قال تعالى﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ الأنبياء / ٥٥.

في هذه الآية قد أجابوه إجابة مستفهم متعجب مما يسمع ويرى[٤]. أيضًا هذه الآية جاءت بعدما، سمعوا مقالته عليه السلام، استبعادًا لكون ما هم عليه ضلالًا، تعجبًا من تضليله إياه على أتم وجه، فجملة (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّعِبِينَ)، فالاستفهام هنا ليس على ظاهره بل هو استفهام مستبعد متعجب[٥].

وترى الباحثة بناءً على الأفعال الكلامية أن تكون الجملة (توجيهية) غرضها الإنجازي التعجب، بناء على الاستفهام في سياق الآية.

١ الالوسي : روح المعاني ٥٧/٩.
٢ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٤٤.
٣ الألوسي : روح المعاني ٥٧/٩.
٤ المراغى : تفسير المراعي ١/ ٤٤.
٥ الألوسي : روح المعاني ٥٧/٩.

ـ قال تعالى ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ الأنبياء / ٥٦.

في هذه الآية أضرب عن قولهم، وأخبر عن الجد، أن المالك لهم والمستحق العبادة، هو ربهم ورب هذا العالم العلوي والعالم السفلي المندرج فيه أنتم ومعبوداتكم، نبه على الموجب للعبادة وهو منشيء هذا العالم[١]. قوله (وَأَنَا عَلَى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) تذييل للجواب بما هو مقابل لقولهم : (أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّعِبِينَ)[٢].

ويرجح بناءً على رؤية أبي حيان والألوسي أن تكون الجملة توجيهية. وهذا الملاحظ من خلال التذييل الذي يدل على تأكيد صدق ما قاله سيدنا إبراهيم (عليه السلام).

ـ قال تعالى﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِين ﴾الأنبياء /٥٧.

جاءت هذه الآية بعد أن أقام البرهان على إثبات الحق، أتبعه بالتهديد لهدم الباطل ومحو أثره، وأنه سينقل من المحاجة القولية إلى تغيير المنكر بالفعل [٣]. وأيضا فيها إعلان من سيدنا إبراهيم لمن كان يواجههم من قومه بهذا الحوار؛ أنه قد اعتزل في شأن آلهتهم أمرًا لا رجعة فيه [٤]، (وَتاللَّه) القسم هنا زيادة على التأكيد بالتعجب[٥].

وإذا كان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أقام الحجة، فإنه في الوقت ذاته هددهم كما ذكر المراغي، وما ذاك إلا أنه متأكد من أنها أصنام لا تنفع ولا تضر، ويبدو أن المراغي استشف هذا بناء على الفعل الإنجازي المستخلص من سياق الفعل الكلامي، وهو التهديد.

كما أن البقاعي لاحظ شيئا مغايرًا لما استخلصه المراغي، وهو عنده على التوكيد على صدق حديثه، والتعجب مما هم فيه أو عليه، وما القسم الوارد إلا زيادة في التوكيد.

ومن هنا يمكن استنتاج أن الأفعال التوجيهية المتضمنة في القول في هذه الآية منها الغرض الإنجازي فيها (الإعلان، التعجب، التهديد، التأكيد).

ومن ثمَّ نستطيع أن القول إن هذه الآية توجيهية؛ لأن داخلها القسم والقسم هنا زيادة على تأكيد التعجب، وهذا ما اتضح من خلال أقوال بعض المفسرين، وتتفق الباحثة معهم فيه.

ـ قال تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء / ٥٨.

يلاحظ أن الآية جاءت نتيجة للآية السابقة، جملة (إِلَّا كَبِيرُهُمْ)، الاستثناء هنا معناه أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) استثنى كبيرهم، لكي يوضح لهم أنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم"

---

١ أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ٦ /٣٠٠.

٢ الألوسي : روح المعاني ٩ / ٥٨.

٣ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٤٦.

٤ سيد قطب : في ظلال القرآن، ص٢٣٨٥، الطبعة الشرعية الأولى ١٩٧٢، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، دار الشروق.

٥ البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢ / ٤٣٧، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

فاستبقى الكبير؛ لأنه غلب في ظنه أنهم لايرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لديهم وسبه لآلهتهم[1]. يحتمل أن عليه السلام يعلم أنهم لا يرجعون إليه من باب الاستهزاء والاستجهال[2].

وإذا كانت الاية نتيجة لما سبق فالفعل كذلك؛ أي ما ترتب عليه؛ أي أن فعل سيدنا إبراهيم جاء بعد الحوار الطويل؛ فأراد أن يظهر إنكاره عبادتهم استخفافًا وإنكارًا، بأنها أصنام لا تنفع ولا تضر.

وإذا د ققنا النظر في المعاني المتضمنة في القول في الآية يلاحظ أنه يوجد فيها (الاستهزاء والإنكار) كمعاني متضمنة في القول، خلافًا إلى أنها جملة بيانية أوتفسيرية.

ــ قال تعالى ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء / ٥٩.

قالوا هذه الآية عندما رجعوا من عيدهم إلى آلهتهم ورأوا ما فُعِلَ بها، استفهموا على سبيل البحث والإنكار[3]. قالوه على طريق التوبيخ والتشنيع[4]. التأنيب[5]، وجملة

(إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) استئناف مقرر لما قبله[6]، فيها توكيد.

ومن ثمَّ إذا نظرنا إلى رؤية المفسرين فسنجدها متدرجة، فقد أورد أبو حيان الإنكار، بينما كان الألوسي المتأخر أشدَّ في استنتاجه حين جعل المعنى المتضمن في الفعل هو التوبيخ والتشنيع، وهي معنى أشد قسوة من الإنكار، في حين كان المراغي أشدَّ ضراوةً عليهم في إنتاج المعاني المتضمنة في القول وهو التأنيب. وهو عندي أشدُّ من المعنيين الأولين.

فالإنكار قد يكون بالقول وبالفعل، ومع حالتنا هذه، نلاحظ أن سيدنا إبراهيم

(عليه السلام) فعل العقل والقول، بينما الإنكار معنى أقل شدة من التشنيع والتوبيخ، ففيهما إعلانٌ وإظهارٌ، أما التأنيبُ فهو مرحلةٌ أكثرَ دقةً وأشدَّ وطأةً من سابقتيها.

وبناءً على لك إذا نظرنا إلى الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية، نلاحظ أنها تقع في مجال دلالي واحد وهو السلب (الإنكار، التوبيخ، التشنيع، التأنيب)، هذا ما استُنبِط من خلال قول بعض المفسرين.

ــ قال تعالى﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ الأنبياء / ٦٠.

جاءت هذه الآية ردًا على الآية السابقة؛ أي أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، بعدما أقسم على تحطيم الأصنام، جاءت هذه الآية تأكيدًا على أنه هو الذي فعلها، جملة (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى

١ أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ٦/ ٣٠١.
٢ الألوسي : روح المعاني ٥٩/٩.
٣ أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ٣٠٢/٦.
٤ الألوسي : روح المعاني ٩ / ٦١.
٥ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٤٨ .
٦ الألوسي :روح المعاني ٩ / ٦١.

يَذْكُرُهُم) هم الذين توعد سيدنا إبراهيم الأصنام بمسمع منهم[1]. جملة (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) يحتمل أن يكون جوابًا لسؤال مقدر لما (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) وأتوا به منكرًا، قيل من يقال، فقيل يقال له إبراهيم[2].

ويمكن النظر إلى الآية القرآنية من جهة أخرى، حيث تشمل جملتين، الأولى: التمهيدية، هى (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى) توعد بمسمع منهم هو الذي فعلها، الثانية: جواب لسؤال، هي (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ).

ومن هذا المبدأ نستطيع أن نقول في قوله (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى) الظاهر لنا أنهم كانوا منكرين لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وهذا اتضح لنا من خلال إكمال الآية أنهم كانوا يعرفون أنه هو الذي فعل هذا، ولكن الباحثة تتفق مع قول أبي حيان في أنها جواب للآية السابقة.

ـ قال تعالى﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ الأنبياء / ٦١.

الواضح في هذه الآية من الذي يفعله قومه، أنه جَهْلٌ منهم متضمن فى قلة العقل[3] وجملة (لَّعَلَّهُمْ يَشْهَدُون) لعلهم يشهدون بأنه الذي توعد الأصنام بالكيد[4].

وتستنتج الباحثة أن تكون مقولتهم هذه نتيجة ما فعله سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تجاه معبوداتهم، بأنهم قالوا هذا؛ لأنهم قبل سابق توعد لهم بالكيد، لكي يكون عظة وعبرة لمن تُسَوِّلُ له نفسه أن يفعل ذلك، وفي قوله (حَتَّى يَّشْهَدُونَ)؛ أي حتى يشهدون ما يوقع به حتى لا يتجرأ أحد أن يفعل مثل ما فعله.

ـ قال تعالى﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ الأنبياء/ ٦٢.

في هذه الآية فن طريف من فنونهم يسمى تجاهل العارف، وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلًا منه ليخرج الكلام مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة الوله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير، وهو على قسمين مزجب ومنفي، والآية التي نحن بصددها من التجاهل الموجب الجاري مجرى التقرير[5].

ومن ثمَّ تستنتج الباحثة بناء على الأفعال المتضمنة في القول (التعجب أو التوبيخ أو التقرير)، ترجح الباحثة الفعل الكلامي (التقرير) الذي جاء بصيغة الاستفهام؛ أي سألوه فما الذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر.

---

١ ابن عاشور : التحريروالتنوير ١٧ /٩٩، الدار التونسية للنشر.

٢ أبوحيان الأندلسي : البحر المحيط ٣٠٢/٦.

٣ البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٢ / ٤٤٠.

٤ ابن عاشور: التحريروالتنوير١٧ / ١٠٠.

٥ محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه ٦ / ٣٣٦، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار ابن كثير.

ـ قال تعالى﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء / ٦٣.

فبقوله هذه الآية متهكمًا بهم وملزمًا بالحجة بقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)[١]، وبقوله هذه الجملة أيضًا فيه توبيخ وتبكيت لهم؛ حيث ردَّ الأمر إلى منْ لا يستطيعه ولا يتأتى منه، ثم يصرح سيدنا إبراهيم لهم بما يريد (فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)[٢]، وأيضًا فيها تهكمًا بهم، تعريضًا، بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للألوهية[٣].

ويلاحظ لنا من خلال أقوال بعض المفسرين في هذه الآية أن الأفعال المتضمنة في القول هي (التهكم، التبكيت، التعريض، التصريح).

وهنا لا بد من بيان قول الباحثة في هذه الآية من جانب آخر، وتختلف جزئيًا مع ما جاء من التفاسير؛ ففي جملة (فَاسْأَلُوهُمْ) جملة (توجيهية) متمثلة في فعل الأمر، فبذلك نستطيع أن نقول ما وصلت إليه الباحثة يختلف عن أقوال بعض المفسرين؛ لأنها نظرت إلى هذه الجملة من جانب آخر.

ـ قال تعالى﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنبياء / ٦٤.

جاءت هذه الآية بعد التهكم الساخر من قول سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وجعلهم موضع الهزء؛ لأنهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع أصلًا تسبب عنه قوله تعالى (فَرَجَعُوا) بمعنى أنهم فكروا فيما قال، فاضطرهم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على محض الباطل، فقال بعضهم لبعض (إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ)، فبقولهم هذا مؤكدين؛ لأن حالهم يقتضي إنكارهم لظلمهم[٤]، في هذه الآية أيضًا تنبهوا وعادوا إلى عقولهم، نطقوا بالحق: (إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ)[٥].

وبناءً على ما سبق، تستنتج الباحثة أن تكون هذه الجملة وهي (إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) جملة (خبرية) متمثلة في حرف التوكيد (إِنَّكُمْ)غرضها التأكيد على إنكارهم لظلمهم.

ـ قال تعالى﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء /٦٥.

وفعل (نُكِسُوا) مبني للمجهول، أي نكسهم ناكس ولما لم يكن لذلك النكس فاعل إلا أنفسهم بني الفعل للمجهول فصار بمعنى: انتكسوا على رؤسهم، وهذا تمثيل[٦]، وفي هذه الآية أيضًا لقد بلغ الأمربهم أن قالوا إنما اتخذناهم آلهة مع علمنا بأنهم لاينطقون ولايتكلمون فكيف تأمرنا

١ البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٢/٤٤٠.
٢ الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي، ص٩٥٨٢.
٣ ابن عاشور : التحريروالتنوير ١٠١/١٧.
٤ البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢ / ٤٤١.
٥ الشيخ محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي، ص٩٥٨٢.
٦ ابن عاشور : التحرير والتنوير ١٧/ ١٠٣.

بسؤالهم، وإنما قال ينطقون ولم يقل يسمعون أو يعقلون، مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضًا، من قبل أن نتيجة السؤال الجواب، وأن عدم نطقهم أبلغ في تبكيتهم[١].

ويمكن أن النظر إلى الآية القرآنية من جهة أخرى، حيث تشتمل على جملتين، الأولى: التمهيدية، وهي (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ) والثانية: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ) فهنا يقولون كيف تهكم بنا وتُستهزىء بنا وتأمرنا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟ ، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

ـ قال تعالى﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ الأنبياء / ٦٦.

(قال): منكرًا عليهم موبخًا لهم مسببًا عن إقرارهم هذا[٢]، مُبَكِّتًا لهم [٣]، الآية جميعها جاءت لما ظهرت الحجة عليهم، أخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل ما لا ينفع ولا يضر[٤]. والملاحظ لنا أن المعاني كلها تقع في مجال دلالي واحد من حيث الفحوى.

واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكن استنتاج الأفعال المتضمنة في القول في هذه الآية منها (الإنكار، التوبيخ، التقريع، التبكيت).

ترجح الباحثة الفعل الإنجازي المتضمن في القول (التقريع والتوبيخ)، بناءً على الأفعال الكلامية، وهذا ما ذهب إليه أبوحيان الأندلسي؛ أي أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بهذين المصطلحين، يريد أن يوجه إلى قومه من لوم شديد وعنيف بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر.

ـ قال تعالى﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء / ٦٧.

ولما أثبت أن معبوداتهم هذه في حيز العدم، فكانوا لعبادتها دونها، استأنف تبكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير التي لا تقال إلا لما هو غاية في القذارة فقال(أُفٍّ)[٥]، فرع على الإنكار والتضجر استفهامًا إنكاريًا من عدم تدبرهم في الأدلة الواضحة من العقل والحس فقال: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٦]، ونبههم على ما به تدرك حقائق الأشياء وهو العقل فقال: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ): أي قُبح ما أنتم عليه وهو استفهام توبيخ وإنكار[٧]. ومن ثمَّ فإن الأفعال الكلامية المتضمنة في القول هذه الآية تقع في مجال دلالي واحد من حيث الفحوى، وهي (التوبيخ، الإنكار). وفي قوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) جملة (توجيهية) طلبية متمثلة في الاستفهام، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

---

١ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٤٩، ٥٠ .

٢ البقاعي : نظم الدررفي تناسب الآيات والسور ٤٤٢/١٢.

٣ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٥٠، ينظر: الألوسي: روح المعاني ٢ / ٦٥.

٤ أبوحيان الأندلسي: البحرالمحيط ٦ / ٣٠٣.

٥ البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٤٤٣/١٢.

٦ ابن عاشور : التحريروالتنوير ١٧ /١٠٥.

٧ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٦ /٣٠٤.

وأرجح مصطلحي (الإنكار، التوبيخ)، وهو ما ذهب إليه أبو حيان؛ لأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) استخدم هذين المصطلحين من خلال أسلوب الاستفهام، لكن استخدمه بعد كل المحاولات والبراهين؛ بأن هذه المعبودات لاتنفع ولاتضر، فجاء هذا الاسلوب منه لكي يمنعهم وينبههم من ما يعبدونه بأنه لاينفع ولايضر.

ـ قال تعالى ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء / ٦٨.

جاءت هذه الآية بعد ما وصل بهم إلى هذا الحد من البيان، فضعفت حُجتُهم، وبان عجْزُهم، وظهر الحقُّ، واندفع الباطلُ، فانقطعوا انقطاعًا فاضحًا، أشار سبحانه إلى الإخبار عن ذلك بقول: (قالوا)[1].

وأيضا قالوا هذا لما نبههم على قبح مرتكبهم وغلبهم بإقامة الحجة عليهم لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم، واختاروا أشد العذاب؛ وهو الإحراقُ بالنار التي هى سببٌ للإعدامِ المحضِ والإتلاف بالكلية[2]. يمكن استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية الكريمة منها (التنبيه، الغضب، البيان).

ولتوضيح ذلك، يمكننا النظر إلى الآية القرآنية من ناحية أخرى، هي في قوله تعالى (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا) فهما فعلانِ للأمر يندرجان تحت الجمل(الإخبارية التقريرية)، هما أيضًا من الجمل الإلزامية.

وترجح الباحثة (الغضب) وهذا ما ذكره أبو حيان، وقد يعود السبب في ذلك إلى عجزهم أمام سيدنا إبراهيم، فجاء الغضب منهم إليه.

ـ قال تعالى﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾الأنبياء / ٦٩.

ففي هذه الآية معجزة إلهية من الحق سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم، ودعاء لسيدنا إبراهيم بأنه لايصيبه شيء. ويمكن النظر في جملة (يَا نَارُ)، فهذه الجملة جملة (توجيهية) طلبية متمثلة في النداء، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

ـ قال تعالى ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ الأنبياء / ٧٠.

هذه الآية نتيجة لما فعله قومه، لأنهم أرادوا أن يلحقوا به كيدًا فجعلهم الله الأخسرين، وفيها تفصيلًا لما سبق أو تفسيرًا، ومن ثمَّ فهنا بوجه عام تفصيل، أما (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) فدعاء عليهم، ومن ثمَّ فيها تفصيل ودعاء، وترجح الباحثة التفصيل؛ لأنه جاء من الحق لكي يوضح لهم جزاءهم تجاه فعلهم لسيدنا إبراهيم.

---

١ البقاعي: نظم الدرر ٤٤٣/١٢.

٢ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٣٠٤/٦.

ثانيًا: في سورة الشعراء من (٧٠: ٨٢)، وعدد الآيات ثلاث عشرة آية.

ــ قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ الشعراء / ٧٠.

ففي جملة (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) منبهًا لهم على ضلالهم، لامستعلمًا؛ لأنه كان عالمًا بحقيقة حالهم، وصور لهم حالهم تنبيهًا على قباحتها فعبَّر بالفعل المضارع (تَعْبُدُونَ)[١]، أيضًا في سؤاله لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ (مَا تَعْبُدُونَ) سؤال استهجان واستنكار، وسؤال استدلال ليُظْهِرَ لهم بطلان هذه العبادة؛ لأن العبادة أن يطيع العابد المعبود فيما نهى، فالذين يعبدون الأصنام بماذا أمرتهم وعم نهتهم؟[٢].

وترى الباحثة أن الاستهجان والاستنكار، وهذا ما ذكره الشيخ متولي الشعراوى، أي أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يأتي على لسانه من الحق سؤال، يتضمن استنكاره على ما يعبده قومه. وبناءً على ما سبق ذكره، يمكن استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية (الاستهجان، الاستنكار).

ــ قال تعالى ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ الشعراء/ ٧١.

هذه الآية جاءت لما سألهم عن الذي يعبدونه، ولم يقتصروا على ذكره فقط، بل أجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطف عليه من تمام صفتهم مع معبوداتهم، فقالوا هذه الآية على سبيل الابتهاج والافتخار، فأتوا بقصتهم معهم كاملة، ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم أصنامًا كما جاء (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا)[٣]. وحرى بنا التطرق الى أن الباحثة تستنتج مصطلحًا آخر وهو (الإصرار) على ما هم عليه، رغم كل الأدلة التي قدمها سيدنا إبراهيم، بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر؛ ولكن هم مصرون على عبادتها.

واستنادًا إلى ماسبق ذكره، يمكن استنتاج أن الأفعال المتضمنة في القول في هذه الآية (الابتهاج، الافتخار) بناءً على كلام المفسرين.

ــ قال تعالى ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ الشعراء / ٧٢،

ففى هذه الآية سألهم سيدنا بناءً على إجابتهم في الآية السابقة، في قوله (قَالَ) استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ)،[٤] فقال معبرًا بظرف ماض وفعل مضارع تنبيهًا على استحضار جميع الزمان ليكون ذلك أبلغ في التبكيت: (إِذْ تَدْعُونَ)[٥].

---

١ البقاعي: نظم الدرر ٤٧/١٤.

٢ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص١٠٥٨٧.

٣ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ٧ /٢١، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣، ينظر: الألوسي: روح المعاني ١٠ /٩٣، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان.

٤ البقاعي : نظم الدرر...٤٩/١٤.

٥ الألوسي: روح المعاني ١٠/ ٩٤، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث الغربي،، بيروت ــ لبنان.

ويمكن النظر إلى الآية القرآنية من جهة أخرى، حيث تشتمل على ثلاث جمل، الأولى: التمهيدية، وهي (قَالَ)، الثانية: الاستفهامية، هي (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ)، الثالثة: المعبرة بالفعل المضارع ليكون بذلك أبلغ في التبكيت، هي (إِذْ تَدْعُونَ).

وبناءً على ذلك تستنتج الباحثة أن تكون الجملة (توجيهية) ناتجة عن سؤال نشأ من تفصيل جوابهم، متمثل في قوله (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ).

ـ قال تعالى﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء / ٧٣.

في هذه الآية والآية التي قبلها، يأخذ سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يوقظ قلوبهم الغافلة، وينبه عقولَهم المتبلدة، إلى هذا السخف الذي يزاولونه دون وعي ولا تفكير، ولم يجب القوم بشيء عن هذا فهم لا يشككون في أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)،إنما يتهكم ويستنكر؛ وهم لايملكون حجة لدفع ما يقول[١].

وبناءً على ما سبق، من خلال أقوال بعض المفسرين، بناءً على الأفعال الكلامية تستنتج الباحثة أن تكون هذه الجملة غرضها (التهكم والإنكار).

ـ قوله تعالى﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الشعراء/ ٧٤.

هذه الآية دليل على زيادتهم في تقريعهم وتوبيخهم[٢]. ومن خلال مراجعة المصنفات التفسيرية لم أجد إلا المراغي ذكر هذه المعاني من خلال الأفعال الكلامية، وأن الباحثة تتفق معه فيما ذهب إليه.

ـ قوله تعالى﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ الشعراء / ٧٥.

ففي قوله (قَالَ) معرضًا عن جواب كلامهم بنقص[٣]، في قوله (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كنتُمْ تَعْبُدُونَ) الهمزة هنا للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية[٤].

وتستنتج الباحثة أن يكون الفعل الكلامي(توجيهي) متمثلا في الاستفهام غرضها الاستهزاء والسخرية بناءً على الأفعال الكلامية.

ـ قوله تعالى ﴿ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴾ الشعراء / ٧٦.

الكلام هنا فيه إنكار وتوبيخ يتضمن بطلان آلهتهم وعبادتها وأن عبادتَها ضلالُ قديمُ لا فائدة في قدمه إلا ظهور بطلانه كما يؤذن بهذا وصف آباءهم بالأقدمين[٥]. فالإنكار والتوبيخ هنا يقعان في فحوى واحدة من حيث السلب، ولكن التوبيخَ أشدُّ من الإنكار.

---

١ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص٢٦٠٢.

٢ المراغي: تفسيرالمراغي ١ / ٧١.

٣ البقاعي : نظم الدرر ١٤/ ٥٠.

٤ محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٧/ ٨٦.

٥ الألوسي: روح المعاني ٩٤/١٠.

ومن ثمَّ تستنتج الباحثة أن الأفعال الكلامية غرضها الإنكار والتوبيخ من سيدنا إبراهيم لقومه، وبطلان ما يعبدونه، وترجح الباحثة ما وصلوا إليه المفسرين من خلال التفاسير.

ـ قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء / ٧٧.

كلمة (عَدُوٌّ) جاءت مفردة مع أنها مسبوقة بضمير جمع، وتعود على جمع (فَإِنَّهُمْ)، ومع ذلك لم يقل: أعداء لي، قالوا: لأن العداوة في أمر الدين واحدة على خلاف العداوة في أمر الدنيا؛ لأنها متعددة الأسباب، كما جاء في قوله تعالى (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ....) ١٠٣ / آل عمران[١].

واختار بعض الأجلة أنه بيان وتفسير لما يعبدونه التي لو أحاطوا بها علما لما عبدوه أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله لما أنهم يتضررون من جهتهم تضرر الرجل من جهة عدوه فأطلق العدو عليهم من باب التشبيه البليغ[٢].

ويستنتج أن الأفعال الكلامية فيها بيان وتفسير؛ أي بيان وتفسير لهم لما يعبدونه، ترجح الباحثة هذين المصطلحين على أنهم عدوله.

ـ قوله تعالى﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ الشعراء / ٧٨.

ـ قوله تعالى﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ الشعراء / ٧٩.

ـ قوله تعالى﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء / ٨٠.

ـ قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ الشعراء / ٨١.

ـ قوله تعالى﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ الشعراء / ٨٢.

ففي هذه الآيات جميعها وصف على لسان سيدنا إبراهيم لرب العزة؛ أي أن جميع النعم التي يتمتع بها المرء من النشأة الأولى إلى آخر الدهر من الله وحده، لا قدرة لأصنامكم على شيء منها[٣].

وتستنتج الباحثة أن الأفعال الكلامية في كل هذه الآيات فيها وصف، وهذا ما ذكره المراغي.

١ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص١٠٥٩١.

٢ الألوسي: روح المعاني ١٠/ ٩٤ .

٣ المراغي: تفسيرالمراغي ١ / ٧٢.

ثالثًا: الآيات التي توجد في سورة العنكبوت من (١٦: ١٨) إذًا المجموع الكلي للآيات ثلاث آيات.

ــ في قوله تعالى﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت/ ١٦.

ففي هذه الآية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في السر والعلن، ثم بين لهم فائدة ذلك فقال: (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[١].

وتستنتج الباحثة أن تكون هذه الآية جاءت من الحق على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بأنه يأمر قومه بعبادة الله، ويوضح لهم أن هذا العبادة خير لكم، ومن ثمَّ داخل هذه الآية جمل (توجيهية) طلبية متمثلة في فعليْ الأمر (اعْبُدُوا)، (اتَّقُوا).

ــ في قوله تعالى﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت / ١٧.

ففي هذه الآية يبين لهم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه أولها: أنهم يعبدون من دون الله أوثانًا، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله، وثانيًا: أنهم بهذه العقيدة لايستندون إلى برهان أو دليل، وثالثها: أن

هذه الأوثان لاتقدم لهم نفعًا، ولاترزقهم شيئًا، وفي الخطوة الرابعة، يوجههم إلى

الله ليطلبوا منه الرزق، وفي النهاية يهتف بهم إلى واهب الأرزاق المتفضل

بالنعم، ليعبدوه ويشكروه: (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ)، وأخيرًا يكشف لهم أنه لامفر من الله، فمن الخيرأن يتوبوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين: (إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٢]. واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكن استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية منها(البيان، التوجيه). وفي السياق ذاته، نلاحظ أن داخل هذه الآية جمل (توجيهية) متمثلة في الأمر (فَابْتَغُوا، وَاعْبُدُوا، وَاشْكُرُوا)، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

ــ في قوله تعالى﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ العنكبوت / ١٨.

ففي هذه الآية يأخذهم خطوة خطوة، ويدخل إلى قلوبهم من مداخلها، ويوقع على أوتارها في دقة عميقة، وهذه الخطوات تعد نموذجًا لطريقة الدعوة[٣]، في هذه الآية إخبار من الحق على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، هذا ما ذهبت إليه الباحثة.

---

١ المراغي: تفسير المراغي ١ /١٢٤.

٢ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص٢٧٢٨.

٣ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص ٢٧٢٩.

رابعًا: الآيات التي توجد في سورة الصافات من الآية (٨٥: ٩٨) وقد بلغ إجمالي الآيات أربع عشرة آية.

ــ قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ الصافات / ٨٥.

ففي هذه الآية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) منكرًا على أبيه وقومه عبادة الأصنام والأوثان: أي شيء تعبدون ؟ وهذا منه استنكار وتوبيخ لهم على ما يعبدون[١]، وفي جملة (مَاذَا تَعْبُدُون) استفهام إنكاري على أن يعبدوا ما يعبدونه [٢]. وتذهب الباحثة إلى أن يكون الفعل الكلامي (توجيهية) غرضها الإنكار والتوبيخ منه على ما يعبده قومه، متمثلة في الاستفهام في قوله (مَاذَا تَعْبُدُونَ).

ــ قوله تعالى﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ الصافات / ٨٦.

فبقوله هذه الآيه بين الإنكار وفسره[٣]، في قوله (أَئِفْكًا) الهمزة هنا للاستفهام الإنكاري التوبيخى[٤].

وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) في معرض دعوته لأبيه وقومه سألهم هذا السؤال ولكن في سور مختلفة لكي يبعدهم بإنكاره وتوبيخه على ما يعبدونه، ففي سورة الشعراء (مَا تَعْبُدُونَ)، في سورة الصافات (مَاذَا تَعْبُدُونَ)، (أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ)، في سورة الأنبياء (مَا هَـذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ).

هذه الآيات كلها الاستفهام فيها استفهام إنكاري، الاستفهام هنا أقوى من الإخبار؛ لأن الإخبار يمكن أن يُكذب، أما الاستفهام فيجعل الخصم يقر بالقضية، ولايستطيع أن يكذبها[٥].

وتستنتج الباحثة بناءً على الأحداث الكلامية،أن تكون هذه الجملة (توجيهية) طلبية متمثلة في الاستفهام غرضها الإنكار والتوبيخ. واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكننا استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية (الإنكار والتوبيخ والبيان والتفسير).

ــ قوله تعالى﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الصافات / ٨٧.

الفاء هنا عاطفة وما اسم استفهام للإنكار والتوبيخ[٦]، وأيضا ذكر ابن عاشور مصطلح الإنكار فقط. ومن خلال مراجعة المصنفات التفسرية التي أعتمد عليها فلم أجد إلا محيي الدين، وابن عاشور تكلما عن الأفعال الكلامية المتضمنة في القول.

١ المراغي: تفسير المراغي ١ / ٦٩.

٢ ابن عاشور: التحريروالتنوير٢٣ / ١٣، الدار التونسية للنشر.

٣ المراغي : تفسير المراغي ١ / ٩٦.

٤ محيي الدين الدرويش : إعراب القرآن وبيانه ٢٩١/٧.

٥ الشيخ محمد متولي الشعراوي،: تفسير الشعراوي، ص١٢٧٩٠ .

٦ محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٢٩١/٨.

واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكن استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية منها (الإنكار والتوبيخ)، وترجح الباحثة الفعل الكلامي المتضمن في القول وهو (الإنكار)، بهذا الاستفهام الإنكاري، يريد به سيدنا إبراهيم (عليه السلام) التوقيف عن الخطأ.

ـ قوله تعالى﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ الصافات / ٨٨.

دلَّ على أنها نظرة طويلة متأملة مستوعبة؛ لأنها استوعبت كوكبًا وقمرًا وشمسًا[١] ؛ لأنه توقف عند هذه النظرة في سورة الأنعام، المعنى ليس أنه بنظرته هذه أنه لم يعرف الله، لكنه على معرفة به ولكنه يريد أن يقنعهم، بأنه لا إله إلا الله وذلك من خلال الأدلة والبراهين، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة. وتستنتج الباحثة أن هذه الآية فيها بيان وتأكيد على معرفته بالله .

ـ قوله تعالى﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ الصافات / ٨٩.

لم ينطق سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فإنَّ النجوم دلته على أنه سقيم ولكنه لما جعل قوله (إِنِّي سَقِيمٌ) مقارنا لنظره في النجوم أوْهم قومه أنه عرف ذلك من دلالة النجوم حسب أوهامهم[٢]، لكنه سيدنا إبراهيم يريد أن يخدعهم بهذه الخديعة، وهم أخذوا السقم على أنه سُقم الأبدان، والمراد هنا سقم القلب، وشغله بما لايستطيع الإنسان تحمله من إنكار القوم لمسألة، فهذه قضية تتعبه وتؤرقه[٣].

وترى الباحثة أن الأفعال الكلامية فيها خديعة منه ليوهمهم أنه مريض، ولكن هذا المرض لم يكن مرضًا جسديًا، وإنما مرضٌ فكريٌّ، وأكَّد قوله هذا بقوله (إِنِّي سَقِيمٌ).

ـ قوله تعالى﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ الصافات / ٩٠.

ففى قوله (مُدْبِرِين) حال مؤكدة، وهو من التوكيد الملازم لفعل التولي غالبًا لدفع توهم أنه تولى مخالفة وكراهة دون إنتقال[٤]، وفيها تقريع على قوله (عليه السلام) إِنِّي سَقِيمٌ[٥].

وبناءً عليه، تكون هذه الآية غرضها التأكيد، والتقريع، ولكن ترجح الفعل الكلامي (التقريع)، فجاء التقريع هنا نتيجة لتكرار ما فعله سيدنا إبراهيم فعنفوه بالترك.

ـ قوله تعالى﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ الصافات / ٩١.

ففي هذه الآية سيدنا إبراهيم فعل ذلك وتسلل إلى آلهتهم ليحطمها؛ لكن قبل أن يحطمها استهزأ بها، فقال (أَلَا تَأْكُلُونَ)[٦]، وفيها تهكم[٧].

---

١ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي ص١٢٧٩٢.

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير٢٣ / ١٤٢، الدار التونسية والنشر.

٣ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص١٢٧٩٣.

٤ ابن عاشور: التحريروالتنوير ١٤٢/٢٣.

٥ الألوسي: روح المعاني ٢٣/ ١٢٣، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان.

٦ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص١٢٧٩٤.

٧ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص٢٩٩٣.

واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكننا استنتاج أن الأفعال المتضمنة في القول في هذه الآية (التهكم، الاستهزاء)، وترجح الباحثة (الاستهزاء)؛ لأن سيدنا إبراهيم يريد أن يستهزيءَ بهم على ما يعبدونه، وهذا ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي.

ـ قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ الصافات / ٩٢.

ففي هذه يقول، لهم أي شيء منعكم الإجابة عن سؤالي؟ ومراده بذلك التهكم بهم واحتقار شأنهم[١]. وحين رجعت إلى المادة التفسيرية التي أعتمد عليها فلم أجد إلا المراغي ذكر المعاني المتضمنة في القول، وترجح الباحثة ذلك المعنى؛ لأن بسؤاله هذا يريد به التهكم والاحتقار لشأن عبادتهم.

ـ قوله تعالى﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ الصافات / ٩٣.

هذه الآية جاءت ردًا على كل ما قاله سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لهم، الاحتقار والتهكم لشأنها فلجأ إلى هذه الطريقة لكي يريهم أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر وهذا ما ذهبت إليه الباحثة، وهذا بعد كل الأساليب التى استخدمها لكي يريهم أنهم على ضلال وأن ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر.

ـ قوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ الصافات / ٩٤.

في هذه الآية دليل على أنهم عندما علموا بتحطيم أصنامهم أسرعوا إليه، فلما رآهم رد عليهم بالآية التي تليها.

ـ قوله تعالى ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ الصافات / ٩٥.

سيدنا إبراهيم (عليه السلام) قال هذه الآية على سبيل التوبيخ والإنكار عليهم[٢]. ترجح الباحثة أن الفعل المتضمن في القول هو الاستفهام الانكاري المتمثل في الجملة (التوجيهية) الطلبية لكي يريهم أن ما يعبدونه لا ينفع ولا يضر؛ لأنها من صنع أيديهم. ويمكن استنتاج الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في هذه الآية منه (الإنكار، التوبيخ) وهذا ظاهر وواضح.

ـ قوله تعالى﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات / ٩٦.

ففي جملة (وَمَا تَعْمَلُونَ) قيل استفهامية للتوبيخ[٣]. وترجح الباحثة هذا المصطلح اللوم والعتاب لقومه على ما يعبدون، وفي قوله (وَمَا تَعْمَلُونَ) جملة (توجيهية) طلبية متمثلة في الاستفهام.

١ المراغي: تفسير المراغي ١ / ٧٠.

٢ الألوسي: روح المعاني ٢٣ /١٢٤.

٣ محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه ٢٩٣/٨.

ـ قوله تعالى ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ الصافات /٩٧.

يقول الحق هذه الآية على لسانهم؛ لأنهم كانوا ليس لديهم جواب لهذا السؤال السابق، وليس لديهم رد على سيدنا إبراهيم (عليه السلام) إلا رد القوة والبطش، فلاحجة لديهم، ولامنطق يدافعون به عن آلهتهم[١]، في جملة (ابنوا) جملة (توجيهية) طلبية متمثلة في الأمر، هذا ما ذهبت إليه الباحثة.

ـ قوله تعالى ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ الصافات / ٩٨.

في هذه الآية يختصر السياق هنا ما حدث بعد قولتهم تلك، ليعرض العاقبة التي تحقق وعد الله لعباده المخلصين ووعيد لأعدائهم المكذبين[٢].

واستنادًا إلى ما سبق ذكره، يمكن استنتاج الأفعال المتضمنة في القول في هذه الآية منها (الوعد والوعيد)، وترجح الباحثة الوعد، فالوعد من الله

لقوم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بالايذاء لهم؛ لأنهم أرادوا بسيدنا إبراهيم ضرر.

ومن هنا بعد ما ذكرت المعاني المتضمنة في القول داخل كل آية من الآيات. والملاحظ لي من خلال ما ذكرته من معاني متضمنة في القول إن الآيات جميعها ترتبط مع بعضها البعض من خلال السياقات، وقد يوجد في الآية الواحدة فحوى من المعاني المتضمنة في القول على الرغم أن لها نفس الفحوى، ولكن كل معنى من هذه المعاني يريد به شيئًا محددًا يوجهه لقومه على ما يعبدونه.

وعلى الرغم من كل هذه المعاني، ولكن يوجد معنى له أهمية وأولوية من حيث ترتيب الأعمال الإنجازية في الآيات كلها؛ أي المعاني المتضمنة التي وردت في الآيات جميعها، وهذه المعاني هى (الإنكار، التوبيخ، الاستهزاء، التهكم، التبكيت، التقريع، السخرية، التعريض، الوصف، التقرير، البيان، الإعلان، التوجيه).

يُلاحَظ أن المعاني جلُّها معان سلبية؛ فالإنكار، والتوبيخ، والتهكم، والتقريع، والسخرية كلها معانٍ سلبية، وأن المعاني الأخرى كالوصف، والتقرير، والإعلان كل ذلك جاء تفصيلًا، وتوكيدًا للمعاني الأساسية.

ومن هذا المبدأ فلدينا فئتان من المعاني المتضمنة في القول، الأولى: أساسية، وهي : الإنكار، التوبيخ، والتفريع، والتهكم، والسخرية،...إلخ، والأخرى فرعية: هي البيان، التصريح، الوصف...إلخ. وهي معانٍ إضافية أو مساعدة، وهي تؤكد المعنى الأساسي، إذنْ المعاني الإضافية أو المساعدة، تؤكد المعنى الأساسي وتقوية.

---

١ الشيخ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص١٢٧٩٥.

٢ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص٢٩٩٣.

النتائج التي توصلت إليها:

١) جاءت النتائج متنوعة بناء على أقوال المفسيرين؛ ففي داخل الآية الواحدة عدد من المعاني (الإخبارية، التوجيهية، التصريحية، التعبيرية، الإلزامية).

٢) جاءت الإخباريات تقدم وصف وقائع، من خلال محاورة سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه، وجاءت مباشرة وغير مباشرة، ويلاحظ أن الإخباريات غير المباشرة أكثر من الإخباريات المباشرة، فالإخباريات المباشرة منها: الوصف والتقرير، وأما الإخباريات غير المباشرة منها التقرير، التبكيت، التعريض، الوعد، الوعيد.

٣) التوجيهيات جاءت متمثلة في الأمر والاستفهام، وكل معنى من هذه التوجيهيات له معانٍ متضمنة في القول منها: الإنكار، التقريع، الاستهزاء، التهكم، السخرية، ويلاحظ أن التوجيهيات غير المباشرة أكثر من التوجيهيات المباشرة.

٤) الإلزاميات جاءت في هذا الموضوع متمثلة في الوعود، وكانت أكثر المعاني الإنجازية.

٥) جاءت التعبيريات متمثلة من جهة قوم سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تجاه ما يعبدونه، وجاء أيضاً الغضب من قومه عليه.

٦) جاءت التصريحات ظاهرة وواضحة تجاه ما يعبده قومه، وبذلك

أقل ورودًا مقارنة لما جاء في التوجيهيات والإخباريات والتصريحات والتعبيريات والإلزاميات.

ومن هنا استنادًا لما سبق بعد ما ذكرت النتائج الناتجة عن الأفعال الكلامية المتضمنة في القول في الموضوع كاملًا، حرى بنا التطرق إلى ذِكر النتائج داخل كل سورة من حيث الأفعال الكلامية لدى سيرل (الإخباريات التوجيهيات، الإلزاميات، التعبيريات، التصريحات).

*** أولا: في سورة الأنبياء:**

اشتملت الآيات على عدد من المعاني مثل الإخباريات، والتوجيهيات، والتعبيريات، والإلزاميات، والتصريحات.

١) جاءت التوجيهيات أكثر ورودًا من الإخباريات يليها، الإلزاميات، يليها، التعبيريات، يليها التصريحات.

*** ثانيًا: في سورة الشعراء:**

وردت في هذه السورة التوجيهيات والإخباريات، والتعبيريات، والتصريحات، ولم يرد فيها الإلزاميات.

***ثالثًا: في سورة العنكبوت:**

وردت في هذه السورة، الإخباريات، والتوجيهيات، ولم يرد فيها التعبيريات، الإلزاميات، والتصريحات.

***رابعًا : في سورة الصافات:**

ورد في هذه السورة، التوجيهيات، والإخباريات، والإلزاميات والتصريحات، ولم يرد فيها التعبيريات.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

ــ القرآن الكريم : (قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع:

١ــ أحمد مصطفى المراغي:

ــ تفسير المراغي، ص٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م.

٢ــ الألوسي: أبو شهاب الدين السيد محمود الألوسي:

ــ روح المعاني، م.ج٩، م.ج ١٠، م.ج ٢٣، الطبعة الأولى، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.

٣ــ البقاعي: خير الدين البقاعي:

ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الجزء الثاني عشر، الجزء الرابع عشر، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٨٧م.

٤ــ أبو حيان الأندلسي:

ــ البحر المحيط، الجزء السادس، الجزء السابع، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.

٥ــ سيد قطب:

ــ في ظلال القرآن، ص٢٣٨٥، م .ج١ الطبعة الشرعية الأولى ١٩٧٢، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م، دار الشروق.

٦ــ الشعراوي: محمد متولي الشعراوي:

ــ تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

٧ــ محيي الدين الدرويش:

ــ إعراب القرآن وبيانه، م. ج ٦، م. ج٧، م .ج٨، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م، دار ابن كثير.

٨ــ محمد الطاهرابن عاشور:

ــ تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع عشر، الجزء الثالث والعشرون،الدار التونسية للنشر.